مقدمة تفسير ابن النقيب

في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن

للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي

الشهير بابن النقيب والمتوفى ٦٩٨ هـ

والمطبوع خطأ بعنوان

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان

لابن القيم الجوزية

كشف عنها وعلق حواشيها

د. زكريا سعيد علي

دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف وطبع هذا الكتاب بمكتبة ومطبعة الخانجى
ص . ب / ١٣٧٥ بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

رقم الإيداع
٩٥ / ٢٧٠

إليه

إلى من كان نورًا لعيني في ظلام دامس

إلى من كان منجيًا لي من بلاء ما حق

إلى شيخنا الإمام أبي فهر

محمود محمد شاكر

أهدي هذا العمل

زكريا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . إنه من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيراً .

« اللهم إنى أسألك رحمة تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتَلُمُّ بها شَعَثى ، وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتُزَكّى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى ، وتردُّ بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء » .

* * *

وبعـــد ... فما أسعدنى أن أجلو غبار الزمن المتطاول عن هذه القطعة الغالية من تراثنا التليد ، وأعيدها إلى مكانها اللائق بين أيدى الدارسين بعد غيبة مئات من السنين لها . وإنه فضل من الله الكريم المنان أن يجرى هذا الخير على يدى . يسعدنى أن أتقدم إلى أهل العلم وطلابه بهذه الطبعة الأولى الكاملة (*) من مقدمة تفسير ابن النقيب فى علوم البلاغة . وكنت قد نشرت بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الخامس والثلاثون (٣٥) بحثا عن هذه المقدمة لتصحيح هذا الخطأ الذى ساد فى وسط الدارسين من نسبة ما أطلق عليه اسم « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » إلى الإمام ابن قيم الجوزية . وكان هذا المقال بمثابة إرهاصة بين يدى هذا العمل . وقد وجدت

(*) كنت – بحمد الله – قد أصدرت منها طبعة غير مكتملة من نحو سنتين ، وقد لقيت استقبالاً طيبًا من الباحثين والعلماء فدفعنى هذا إلى إعادة النظر فيها ثانية وإخراجها بتمامها .

له أصداءً طيبة أثلجت صدرى . ومنها ما علَّق به الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان ، وكيل كلية الآداب بجامعة البعث فى حمص بسورية ، فى نشرة أخبار التراث العربى (*) فقال : « قتل الكاتب الشك باليقين فى تحقيق نسبة الكتاب إلى ابن النقيب بالحجة والدليل ، فقضى بذلك على شكوك طالت مساورتها أفكار المحققين » .

وقد أفادنى تعليقه هذا فائدة ثمينة – جزاه الله خيرا – حيث نبهنى إلى ما نُشِر طعنًا فى نسبة هذا الكتاب بمجلة المنار عام ١٣٣٤ هـ – ١٩١٦ م منسوبًا إلى « أبى الأشبال » . وقال الدكتور نبهان : إن الكاتب لم يصرح باسمه .

وما إن قرأت هذا حتى استخفنى السرور ، فـ « أبو الأشبال » كنية الأستاذ المحقق العلامة **الشيخ أحمد محمد شاكر** رحمه الله ، وكان يصدّر بها كثيرًا من كتاباته ؛ فلكلامه قدره ووزنه الذى يعرفه له العارفون . وإننى – هنا – أثبت نص كلام الأستاذ الكبير فى صدر هذا العمل عرفانًا بفضله وتقدمه .

قال رحمه الله : « ومن الكتب المنسوبة قصدًا للنفاق كتاب يسمّى كتاب « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » نسب إلى الإمام الجليل شمس الدين ابن القيم رضى الله عنه ، وهو كتاب لا بأس به ، فيه فوائد أدبية ، ونكت بلاغية ، فصيح العبارة . ويظهر أن مؤلفه كان من الكتّاب المنشئين ، لا العلماء المحققين – أمثال إمامنا ابن القيم – فإن له فى بعض المسائل تحقيقات واختيارات سخيفة لا يقولها من شام للعلم بارقة . لو لم يكن لشمس الدين ابن القيم بين أيدينا كتب غير هذا لقلنا : كاتب يتسخف ويظن أنه محقق ، وأحمق يتكايس ويظن أنه عاقل ، ولكن كتب ابن القيم تنادى بقوة نظره ودقة بحثه ، وكثرة علمه ، وبعد غوره ، ولله دره من إمام جليل ، وحاشا لله أن يقول فى إعجاز القرآن كما قال مؤلف هذا الكتاب فى صحيفة ٢٥٥ بعد أن حكى الأقوال فى وجه الإعجاز ما نصه : « قال المصنف عفا الله عنه : والأقرب من هذه الأقاويل

(*) نشرة أخبار التراث العربى : المجلد : ٥ ، الأعداد : ٥٥ – ٥٩ ، ص : ٤٠ .

إلى الصواب قول من قال : إن إعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيف والتحريف والزيادة والنقصان ، فإنه ليس عليه إيراد ولا مطعن » . هذا اختياره . وحكاية مثل هذا تغنى عن ردّه وضرب الأمثال على بطلانه . وأغرب من هذا القول قوله فى الصحيفة نفسها بعد أسطر : « وقال قوم : إعجازه من جهة أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة قائمة بالذات ، وأنّ العرب إذ تُحّدوا بالتماس معارضتهم له والإتيان بمثله أو بمثل بعضه كلفوا مالا يطاق ، ومن هذه الجهة وقع عجزهم ، وهذا القول أيضا حسن » . هذا كلامه بنصه ، وإنى أترك للقارىء فهم معنى التحدى بالصفة القديمة فذلك مما يقصر عقلى عن دركه .

وقد اتصل بى أن النسخة الخطية التى طبع عنها هذا الكتاب كانت نسبته فيها إلى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الأصل ، فقيل لطابعه : لا تنسبه لابن القيم فلعلّ كاتب هذه لم يتحرّ النسبة ، وخصوصًا أن الكتاب غير معروف فى كتب ابن القيم فأبى ونسبه إليه . فحسبنا الله ونعم الوكيل » . انتهى كلام أبى الأشبال وقد نشره فى « المنار » المجلد (١٩) عام ١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م - ص ١٢٠ - باب المراسلة والمناظرة .

وبعد أن انتهى الدكتور نبهان من سياقة كلام أبى الأشبال علّق عليه بقوله : « وواضح أن أدوات البحث وصلت بالدكتور زكريا إلى نتائج مقنعة لم يصل إليها كاتب تلك السطور عام ١٩١٦ . وجزى الله الكاتبين السابق واللاحق خير الجزاء » .

وأنا أقول أيضاً : وجزى الله الكريم الدكتور عبد الإله نبهان خير الجزاء على ما قدمه لى من هذه الفائدة الثمينة ، ورحم الله الأستاذ الكبير أحمد محمد شاكر على ما أسداه للعلم طلابه .

وبعد .. فعلم الله مدى ما بذلت من الجهد والعناء فى سبيل إخراج هذا العمل . لولا رعاية الله وتوفيقه لضللت السبيل ولغابت عنى أعلام الطريق الهادية . فما كان فيه من صوابٍ فمن الله ، وما كان فيه من حياد عن الجادة فمن نفسى ومن الشيطان . وإننى هنا لأتوجه إلى أهل العلم وطلابه - آملاً - أن يتجهوا

إلى هذا العمل بالتقويم والتسديد والإرشاد . « والعلم رحم بين أهله » ، والكمال لله وحده « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت »

وَمَنْ ذا الذى تُرضَى سجاياه كلُّها كفى المرءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعايِبُهْ

ولا يفوتنى – هنا – أن أذكر فضل عملين رائدين كان لهما أثر كبير فى تيسير ضبطى لمصطلحات البلاغة ومراجعتها فى أصولها – وما كان أعسر ذلك ! – وهما : كتاب الدكتور أحمد مطلوب « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » ، وتحقيق الدكتور حفنى شرف لكتابى ابن أبى الإصبع : تحرير التحبير وبديع القرآن .

كما أتقدم بموفور شكرى لمن أسدى إلىّ فضل معاونة ومؤازرة ، وأخص بالذكر الإخوة الزملاء الدكتور هشام عبد العزيز والدكتور محمد صقر والدكتور عبد السلام السيد حامد على ما بذلوه من جهد فى أعمال المقابلة والتصحيح . وإنه لمن دواعى سرورى أن يتولى نشر هذه الطبعة الأولى من هذا العمل أحفاد ناشر مطبوعة الفوائد المشوق « الخانجى » رحمه الله ، فتحقق فى هذا العمل امتداد الأجيال ، وأسأل الله أن يوفقهم لخدمة هذا التراث .

﴿ ربِّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ ، وأن أعمل صالحًا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ . ﴿ أبوءُ لك بنعمتك علىَّ ، وأبوءُ بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ﴾ . والحمد لله فى الأولى والآخرة .

أبو يحيى
زكريا سعيد

القاهرة : وقت آذان العصر من يوم الإثنين
الثامن عشر من رمضان : ١٤١٤ هـ
٢٨ من فبراير ١٩٩٤ م

كتـــاب

« الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان »

المنحول للإمام ابن قَيِّم الْجَوْزِيّة ، هو

مقدمة تفسير ابن النقيب

« الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » للإمام ابن قَيِّم الْجَوْزِيّة » [1] كتاب صدرت طبعته الأولى بالقاهرة عام ١٣٢٧ هـ [2] على نفقة محمد أمين الخانجي [3] الكتبى وشركاه بمصر والآستانة . وعنى بتصحيحه محمد بدر الدين النعسانى [4] . وقد أثنى على هذا الكتاب أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعى فقال : « أمّا إن أردت أن تعرف أنواع البلاغة فى آيات القرآن والتمثيل منها لكل نوع فليس أوفى بغرضك من كتاب « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » للإمام ابن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١ . **وقد جمعه من أمهات الكتب المصنفة فى البلاغة ، فكان فى ذلك الغرض بها جميعا** » [5] .

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر الحنبلى الشهير بابن قيِّم الْجَوْزِيّة و (الجَوْزِيّة) بفتح الجيم مدرسة كبيرة كانت للحنابلة بدمشق الشام . ولد سنة ٦٩١ . قال عنه السيوطى : صنف وناظر واجتهد وصار من الأئمة الكبار فى التفسير والحديث والفروع والأصلين والعربية وتوفى سنة ٧٥١ هـ .

(٢) وما ظهر من طبعات أخرى من الكتاب بعد ذلك فهو فمأخوذ عن هذه الطبعة مع بعض التصرف فى حذف اسم الناشر الأول وتاريخ الطبعة الأولى ، وحذف شىء من مقدمة خطبة المؤلف ، مثلما فعلت مكتبة المتنبى بالقاهرة فى إخراج مصورة من هذا الكتاب أولاً ثم قاموا بإعادة صفه وطبعه . ومن الغريب أنه أخرجت له أخيراً دار الكتب العلمية بيروت نشرة زعموا أنها محققة على أصول معتمدة : وهذا أمر مثير للسخرية والألم فى نفس الوقت ، وما هى إلا نسخة « المتنبى » السابقة بكل مسخها وتحريفها . ولله الأمر من قبل ومن بعد !! .

(٣) ولد فى حلب سنة ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م وتعلم بها . وانتقل إلى القاهرة ، وأنشأ مكتبة الخانجى . ونشر الكثير من نوادر التراث العربى . وتوفى بالقاهرة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م . ترجمته فى : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى للدكتور محمود الطناحى : ٥٩ .

(٤) هو محمد بن مصطفى بن رسلان النعسانى الحلبى ، أديب شاعر ولد بحلب سنة ١٢٩٨ هـ . وتوفى ١٣٦٢ هـ - نزل مصر وأقام بالأزهر ثمانى سنوات ، واشتغل بتصحيح الكتب إلى تآليف أخرى . انظر ترجمته فى مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى : ٦١ .

(٥) إعجاز القرآن للرافعى : ٢١٠ .

وقال عنه فى موضع آخر من كتابه « إعجاز القرآن » تحت عنوان « البلاغة فى القرآن » : (وبعد فلا سبيل من كتابنا هذا إلى بسط الكلام وتقسيمه فيما تضمنه القرآن من أنواع البلاغة التى نصب لها العلماء أسماءها المعروفة كالاستعارة والمجاز وغيرهما . فضلاً عن أنواع البديع الكثيرة . فإن ذلك يخرج الكلام مخرج التأليف وبناء القول على هذه الفنون نفسها . وهو معنى كان استخراجه من القرآن بابًا مفردًا صنف فيه جماعة من العلماء المتأخرين منهم الإمام الرازى المتوفى ٦٠٦ . فقد لخّص كتاب « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » للجرجانى . واستخرج منهما كتابه فى « إعجاز القرآن » وهو كتاب معروف ، أحسن فى نسقه وتبويبه . ثم الأديب ابن أبى الإصبع المتوفى سنة ٦٥٤ . فقد صنف كتاب « بدائع القرآن » أورد فيه نحو مائة نوع من معانى البلاغة وشرحها . واستخرج أمثلتها من القرآن . ثم ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ . **وقد أشرنا فى غير هذا الموضع إلى تصنيفه كتاب « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، وهو فى معناه بتلك الكتب كلها »** [١] .

وقد أشار إلى هذا الكتاب الدكتور أحمد مطلوب فى دراسته « البلاغة عند السكاكى » وذهب إلى أن هذا الكتاب خلو من تأثير السكاكى وأنه من وجهة أخرى من درس البلاغة وأنه من مدرسة ضياء الدين بن الأثير الذى كان له الأثر الكبير عليه [٢] . وقد أشار إلى هذا الكتاب إشارة عابرة الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « البلاغة تطور وتاريخ » [٣] .

ولم تتطرق هذه الدراسات جميعها إلى مسألة : « صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام ابن قيم الجوزية » ، حيث تلقت – كلها – هذه النسبة بالقبول ! وقد تسرب إلىَّ الشك فى صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه منذ بدأت المطالعة فيه ، وكنت كلما ازددت قربًا منه يزداد هذا الشك عندى ويتمكن ؛

---

(١) السابق : ٢٥٦ .

(٢) البلاغة عند السكاكى : ٣٥٧ .

(٣) البلاغة تطور وتاريخ : ٣١٩ ، ٢٢٠ .

الأسلوب ، وهذه الروح ليست هى التى يشعر بها من يطالع كتب ابن قيم الجوزية الأخرى ، وإنه ليستحيل أن يوجد لكاتب واحد أسلوبان وطريقان مختلفان ، كما يستحيل أن يوجد لشخص واحد بصمتان ، و ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** ﴾ .

وكان لابد لى من أن أسلك طريقًا علميًا لتحرير هذا الشك الهاجس فى نفسى ، فكان أن اخترت – فى سبيل ذلك – منهجًا عربيًا أصيلاً عرفه علماء هذا الأمة من قديم : طريق نقد السند والمتن . وهو منهج أصلّه علماء الحديث النبوى وانتقل منهم إلى غيره من العلوم . فقلت فى نفسى : أمّا جانب « السند » – فى قضية النسبة التى معنا هنا – فتحريره يكون من الكتب التى اعتنت بهذه الناحية ؛ فعلّى أن أتجه إلى كل مَنْ ترجم لابن القيم وذكر كتبه ، عساى أن أجد ذكرًا ما لهذا الكتاب الذى بين يدىّ . وكان أن صحت عزيمتى على مراجعة كتب التراجم والطبقات والتصانيف المهتمة بتوثيق نسبة الكتب لأصحابها ككشف الظنون ومفتاح دار السعادة وهداية العارفين ونحوها .

وبعد أن سرت شيئًا فى هذا الطريق **وقعت على ما صنعه الأستاذ بكر ابن عبد الله أبو زيد فى كتابه « ابن قيم الجوزية حياته وآثاره » وما بذله من جهد جليل القدر فى حصر مؤلفات ابن القيم وتوثيق نسبتها إليه** ، وأتى فى ذلك بما وَفَّرَ به علىّ كثيرًا من الجهد والوقت وقد قرّر الأستاذ الباحث أنه لم ير من نسب كتاب « الفوائد المشوق » إلى ابن القيم قبل طبعه . وتوقف مبديًا شيئًا من الشك فى صحة هذه النسبة لابن القيم [1] . وقد ذكر الأستاذ أبو زيد

---

(١) انظر : ابن قيم الجوزية حياته وآثاره : ١٨٤ – ١٨٥ ، وقد كنت أظن أن الأستاذ بكر بن عبد الله أبو زيد هو أوّل من شك فى نسبة هذا الكتاب – قبلى – إلى ابن القيم ، وقد ذكرت هذا فيما نشر لى من مقال عن هذا الموضوع بمجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٣٥ ، وقد علّق عليه بعد ذلك فى نشرة أخبار التراث العربى ص ٤٠ ، ٤١ (المجلد الخامس – الأعداد : ٥٥ – ٥٩) الدكتور عبد الإله نبهان وكيل كلية الآداب بجامعة البعث فى حمص بسورية ، ونبهنى إلى أن الأستاذ « أبو زيد » ليس أول من شك فى نسبة الكتاب ، وأنه مسبوق فى ذلك قديما بمن يدعى « أبا الأشبال » حيث نشر طعنا فى ذلك فى مجلة (المنار المجلد ١٩ ، الصادر عام ١٣٣٤ هـ – ١٩١٦ م ص ١٢٠ فى باب المراسلة =

مصادره فى استقراء كتب ابن القيم وهى كتاب : الوافى بالوفيات لصلاح الدين الصفدى المتوفى ٧٦٣ هـ وهو من تلاميذ ابن القيم ، والذيل على طبقات الحنابلة لتلميذ ابن القيم ابن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥ هـ ، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، والمنهل الصافى لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ، وبغية الوعاة للسيوطى المتوفى ٩١١ هـ ، وطبقات المفسرين للداودى المتوفى ٩٤٥ هـ وكشف الظنون » للحاج خليفة المتوفى ١٠٦٧ ، وشذرات الذهب لابن العماد المتوفى ١٠٨٩ ، و « البدر الطالع » للشوكانى المتوفى ١٢٥٠ ، و « التاج المكلل » لصدِّيق خان المتوفى ١٣٠٧ هـ ، و « هدية » العارفين » لإسماعيل باشا البغدادى ، المتوفى ١٣٣٩ وغيرها [٢] .

كل هؤلاء ذكروا كتبًا مصنفة لابن القيم ، وكلهم سكت عن أن له كتابًا يحمل عنوان « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » . وأمر كهذا يوجه طعنة قاضية لتوثيق نسبة هذا الكتاب لابن القيم . فهل يمكن أن يغيب عن علماء الأمة طيلة نحو سبعة قرون من الزمان كتاب لابن القيم لا يذكره واحد منهم ولا يكتشف إلا فى هذه الأيام ؟! .

* * *

هذا عن الجانب الأول وهو جانب نقد « السند » . أما الجانب الثانى وهو « نقد المتن » فاتجهت فيه إلى الكتاب بالدرس والتأمل فكان أن كشف لى - أيضًا - عن استحالة أن يكون هذا الكتاب لابن القيم لما يأتى :

= والمناظرة) وأورد الدكتور نبهان نص الكاتب وعلّق عليه بقوله : « ولم يصرح الكاتب باسمه ، وقال : كتبه أبو الأشبال عفا الله عنه » . وما « أبو الأشبال » هذا الذى أشار إليه الدكتور نبهان إلا الأستاذ الكبير المحدث المجتهد الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله فهذه كنيته وقد نقلت مقالة الشيخ أحمد شاكر فيما سبق صفة : ٦ ، ٧ .

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية حياته وآثاره : ١١٢ - ١١٦ .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة : ٢٨٤ .

١ – ابن القيم مشهور عنه موقفه من « المجاز » ووصفه له بأنه « طاغوت » ، وقد أفرد فصلاً من كتابه « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » بعنوان : « فى كسر الطاغوت الثالث الذى وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز » [١] . وقال عنه : « هذا الطاغوت لهج به المتأخرون ، والتجأ إليه المعطلون ، وجعلوه جُنَّةً يَتَتَرَّسون بها من سهام الراشقين ، ويصدون عن حقائق الوحى المبين » [٢] . وقد قرّر ابن القيم فى كتابه هذا أن قسمة الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيمًا شرعيًا ولا لغويًا أيضًا . وأنّ « الشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دل عليه ، ولا أشار إليه ، وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز ، ولا قال أحد من العرب قط : هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز . ولا وجد فى كلام من نقل لغتهم عنهم – مشافهةً ولا بواسطة – ذلك . ولهذا لا يوجد فى كلام الخليل وسيبويه والفراء وأبى عمرو بن العلاء والأصمعى وأمثالهم . كما لم يوجد ذلك فى كلام رجل واحد من الأئمة الأربعة وهذا الشافعىّ وكثرة مباحثه مع محمد بن الحسن وغيره لا يوجد فيها ذكر « المجاز » البتة . وهذه رسالته التى هى كأصول الفقه لم ينطق فيها بالمجاز فى موضع واحد . وكلام الأئمة مدون بحروفه لم يحفظ عن أحد منهم تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز . بل أول من عُرف عنه فى الإسلام أنه نطق بلفظ « المجاز » أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى فإنه صنّف فى تفسير القرآن كتابًا مختصرًا سمّاه « مجاز القرآن » وليس مراده به تقسيم [٣] الحقيقة فإنه تفسير لألفاظه بما هى موضوعة له ، وإنما عنى بالمجاز ما يعبر به عن اللفظ ويفَسَّر به كما سمّى غيره كتابه « معانى القرآن » أى ما يعنى بألفاظه ويراد بها كما يسمى ابن جرير الطبرى وغيره ذلك تأويلاً » [٤] .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة : ٢٨٤ .

(٢) مختصر الصواعق : ٢٨٤ .

(٣) كذا بالمطبوعة . ولعلها : (قسيم) .

(٤) مختصر الصواعق : ٢٨٥ .

ثم ينتهى بعد ذلك إلى تقرير أن مصطلح « المجاز » حادث بعد المائة الثالثة ، وكان من جهة الجهمية والمعتزلة . فيقول : « وإذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيماً شرعيًا ولا عقليًا ولا لغويًا فهو اصطلاح محض . وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص . وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين » [1] .

ثم اتجه ابن القيم – بعد ذلك – إلى إبطال هذه القسمة « الحقيقة والمجاز » فى نحو ثمانين صفحة بكلام إجمالى [2] . ثم خصّص – بعدها – فصلاً فيما ادعوا فيه وقوع « المجاز » فى كلام الله وكلام رسوله ﷺ . وردّ ذلك على وجه التفصيل فى نحو من أربع وأربعين صفحة ومائة فى طبعة مختصر الصواعق [3] التى بين أيدينا .

ثم انتهى إلى أنه ليس هناك جدوى ولا طائل – مع كل ما ساقه من أضرار – لهذه القسمة إلى « الحقيقة والمجاز » . يقول ابن القيم : « فالذين قسموا الكلام إلى حقيقة ومجاز إن أرادوا بذلك التقسيم الذهنى لم يفدهم ذلك شيئًا وإن أرادوا التقسيم الخارجى لم يكن معهم دليل يدل على وجود الجميع فى الخارج سوى مجرد التقسيم وهو لا يفيد الثبوت الخارجى . فحينئذ لا يتم لهم مطلوبهم حتى يثبتوا أن هاهنا ألفاظًا وضعت لمعان حتى تقلب عنها بوضع ثان على معان أخر غيرها وهذا مما لا سبيل لأحد إلى العلم به » [4] .

هذه نصوص ابن القيم التى تكشف عن حقيقة موقفه من قضية المجاز . وإنّ من ينظر فيها وفيما جاء فى الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق ليقطع بلا تردد أن صاحب هذا الكتاب لا يمكن أن يكون ابن القيم ؛ فقد أسهب صاحبه فى الحديث عن أقسام المجاز ووصل بها إلى أربعة وعشرين قسمًا تحت كل قسم

---

(١) مختصر الصواعق : ٢٨٧ .
(٢) مختصر الصواعق : ٢٨٤ – ٣٦٤ .
(٣) من صفحة ٣٦٥ – ٥٠٩ .
(٤) مختصر الصواعق : ٢٩٠ .

أقسام أخرى ، واستغرق فى ذلك ما يقرب من الثمانين صفحة من طبعة الفوائد المشوق [1] .

وأمّا ما ذهب إليه الدكتور صبرى المتولى – من أنّ كتاب « الفوائد المشوق » يمثل المرحلة الأخيرة فى تطور تفكير ابن القيم البلاغى وأنه اكتسب فيه استقلالاً عن شيخه ابن تيمية ، وأنه أعاد فيه النظر فى آرائه التى سبقت فى كتاب الصواعق المرسلة [2] – فهذا ضرب من الظن وقول بلا دليل حتى لو سلمنا – جدلاً – بثبوت صحة نسبة هذا الكتاب لابن القيم ؛ فهذا الذى ذهب إليه الأستاذ يحتاج إلى معرفة تاريخ تأليف كل من الكتابين حتى يعلم السابق واللاحق . وعندها يمكن القول بنسخ اللاحق للسابق . وهذا منعدم هنا .

٤ – ومما لفت نظرى فى هذا الكتاب الموسوم بـ « الفوائد المشوق » عند ذكره للزمخشرى أنه يتبع ذلك بصيغة الترحم عليه : (رحمه الله) [3] .

وهذا مما لا يمكن أن يصدر عن واحد مثل ابن القيم السلفى المعتقد الذى عنده أنّ المعتزلة من فرق المبتدعة والضلالة ، والزمخشرى رأس من رؤوس هؤلاء . ولم نعهد واحدًا من أئمة أهل السنة والحديث يرد على المعتزلة مفندًا ومسفِّها ثم يأتى بعد ذلك ذكر أحد أئمتهم فيترحم عليه !

٥ – ومما لفت نظرى أيضًا فى كتاب « الفوائد المشوق » – هذا – أنه عند ذكر فخر الدين الرازى نجده يسبق اسمه بما يحمل الإجلال والإعظام فلا يذكره إلا بعد أن يسبقه بلفظ « الإمام » فيقول : « وقال الإمام فخر الدين رحمه الله » [4] . ومثل ذلك نجده عند ذكره للعز ابن عبد السلام حيث يصفه بـ « الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام » [5] . وهذا غريب على أسلوب ابن القيم الحنبلى المذهب ، فهذا مالا نجده فى باقى كتبه ، وغاية مايمكن

---

(١) من صفحة ٩ – ٨٧ .

(٢) انظر : منهج أهل السُنة فى تفسير القرآن الكريم . دراسة موضوعية لجهود ابن القيم فى التفسير ، للدكتور صبرى المتولى : ٤٣١ .

(٣) الفوائد المشوق : ١٠٦ .

(٤) الفوائد المشوق : ٤٤ ، ١٤٧ .

(٥) الفوائد المشوق : ١٣ ، ٣٢ .

أن نجده عنده أن يقول – مثلاً – عن العز بن عبد السلام : « الشيخ أبو محمد ابن عبد السلام » [1] .

٣ – لفت نظرى – أيضا – فى هذا الكتاب إطلاقه « الشيخ » على أبى العلاء المعرّى : وهذا غريب على مثل ابن القيم الذى وصف أبا العلاء بأنه « أعمى البصر والبصيرة ، كلب مَعَرَّة النعمان ، المكنى بأبى العلاء المعرّى » [2] .

هذا لفظ ابن القيم فى وصف أبى العلاء . ويظهر منها استكثاره – حتى – أن ينطق لسانه بكنية « أبى العلاء » مباشرة – فيسبقها بقوله (المكنى) ويصفه بـ (**الكلب ، وأعمى البصر والبصيرة**) . ولا أظن أنّ ابن القيم العفّ اللسان وصل إلى هذا الحد فى وصف أحد بمثل هذه الصفات غير أبى العلاء المعرّى ؛ فأن يتحول إلى ضد ذلك فى كتاب « الفوائد المشوق » ويرفع منه ويجعله « الشيخ أبا العلاء » فهذا مالا أتصوره !

٢ – ابن القيم معروف باطلاعه الواسع على السُّنة النبوية المطهرة وله تحقيقات واسعة فى الحديث النبوى الشريف سندًا ومتنًا ، رواية ودراية . وما بين أيدينا من كتبه شاهد على ذلك ، وله مصنف فى التنبيه على الأحاديث الساقطة والواهية هو كتاب « المنار المنيف » . واحد هذه صفته لا يمكن أن يقع فى كتابه من الأحاديث ما هو مكذوب على النبى ﷺ ولا ينتبه إليه ! وهذا ما وقع فى الكتاب الموسوم بـ « الفوائد المشوق » حيث وردت فيه مجموعة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة على رسول الله ﷺ . ولن أتعرض للأحاديث الضعيفة حيث إن من أهل العلم من يجيز الاحتجاج بها . أما المكذوبة على رسول الله ﷺ فهى زور وبهتان وقد توعّد النبى ﷺ فاعله بمقعده من النار . أضف إلى ذلك أن عادة ابن القيم المحدث الفقيه نسبة الأحاديث إلى مخرجيها من أصحاب

---

(١) انظر الوابل الصيّب من الكلم الطيب لابن القيم : ٢٥ – ٢٨ .

(٢) طريق الهجرتين : ١٤٦ .

كتب السُّنة النبوية ، وهذا معدوم – هنا – فلا يوجد حديث فى كتاب « الفوائد المشوق » محال إلى مخرجه من أصحاب كتب السُّنة .

وهذه بعض الأمثلة : أورد صاحب الكتاب فى باب « السهل الممتنع » فى القسم الخاص من الباب الثانى المتعلق بفصاحة الألفاظ أمثلة من السُّنَّة فقال : (ومنه فى السُّنَّة كثير .. من ذلك قول ﷺ ... وقوله ﷺ « إياكم وخضراء الدِّمَنِ . قالوا : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، وقوله ﷺ : « المعدة بيت الداء والحِمْيَة رأس كل دواء وعوِّدوا كلَّ جسد ما اعتاد ... » [1] .

وما أورده هنا من حديث (المعدة بيت الداء ...) لا يعقل أن ينسبه ابن القيم إلى رسول الله ﷺ وهو الذى قال عنه فى كتابه زاد المعاد : (وأما الحديث الدائر على ألسنة كثير من الناس « الحِمْيَة رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل جسد ما اعتاد » فهذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ولا يصح رفعه إلى النبى ﷺ . قاله غير واحد من أئمة الحديث) [2] .

وأما حديث « إياكم وخضراء الدِّمن ... » فقال عنه الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألبانى : (ضعيف جدًا . رواه القضاعى فى مسند الشهاب وأورده الغزالى فى الإحياء وقال مخرجه العراقى رواه الدارقطنى فى الأفراد والرامَهُرْمُزِى فى الأمثال) [3] .

– ونجد مصنف الكتاب الذى معنا يورد فى باب التشبيه حديثًا ذائع الانتشار فى كتب البلاغة وهو فى الحقيقة موضوع ، وهو (أصحابى كالنجوم ...) [4] ، قال عنه الشيخ ناصر الدين الألبانى : (موضوع ورواه ابن

---

(١) الفوائد المشوق ص ٢٢٣ .

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم : ٩٨/٣ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الدين الألبانى (٢١/١) .

(٤) الفوائد المشوق : ٥٦ – ٦٦ .

عبد البر فى جامع العلم ٩١/٢ وابن حزم فى الأحكام ٨٢/٦) [١] .

واحد كابن القيم – فى جلالة قدره فى علم الحديث – لا يمكن أن يصدر عنه مثل هذه الهفوات فى هذا الفن فن معرفة صحيح الحديث من ضعيفه من موضوعه ، ولا تخرج إلا عن واحد بعيد عن هذا الميدان .

* * *

وهكذا أجدنى مطمئنا إلى أنّ هذا الكتاب الذى بين أيدينا المعَنْوَن بـ « الفوائد المشوق » لا يمكنَ أن يكون لابن القيم . وأما ما يذهب إليه بعضهم أنّ هذا الكتاب يمكن أن يكون ألفه قبل اتصاله بأستاذه ابن تيمية [٢] فهذا مالا حاجة بنا إلى تكلفه . وكان يمكن أن يكون واردًا لو أنّ نسبة هذا الكتاب كان مقطوعًا بها لابن القيم ، أما وقد استبان عدم صحة هذه النسبة فلا حاجة إلى ذلك . ولو سلمنا – فرضًا – أنّ ابن القيم ألف هذا الكتاب قبل لقاء شيخه ابن تيمية لكان – كما قال الأستاذ أبو زيد : (أشار إليه فى معرض بحثه وقرّر الرجوع عنه ، ونبّه على ذلك حتى لا يُغْتَرَّ به كما هو دأب أهل العلم فى هذا وهو مقتضى النصيحة فى سبيل الله نصحًا للأمة وتوجيهًا لها » [٣] .

ومما يقطع – أخيرا – بزيف هذه النسبة إلى ابن القيم ما شهد به الأستاذ الثقة الشيخ أحمد محمد شاكر . قال رحمه الله : « وقد اتصل بى أن النسخة الخطية التى طبع عنها هذا الكتاب كانت نسبته فيها إلى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الأصل ؛ فقيل لطابعه : لا تنسبه لابن القيم فلعلّ كاتب هذه لم يتحرّ النسبة ، وخصوصًا أن الكتاب غير معروف فى كتب ابن القيم ، فأبى ونسبه إليه ، فحسبنا الله ونعم الوكيل » [٤] . وهذه شهادة لها قدرها من

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألبانى : ٧٣/١ ، وانظر عدة ألفاظ له أخرى فى نفس السلسلة : ٧٤/١ – ٧٩ .

(٢) انظر ابن قيم الجوزية حياته وآثاره : ١٨٥ .

(٣) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره : ١٨٥ .

(٤) مجلة المنار – المجلد ١٩ ، عام ١٣٣٤ هـ – ١٩١٦ م – ص ١٢٠ ، وقد أوردنا مقالة الأستاذ أحمد شاكر كاملة فيما سبق صفحة : ٦ ، ٧ .